وجهة نظر

التطوير التربوي- التعليمي والبيئة المجتمعية

من الممكن أن يسود لدى القائمين والمهتمين بعملية التطوير التربوي والتعليمي في المجتمعات غير الغربية، رأي مفاده إمكانية عزل وفصل عملية التطوير عن البيئة المجتمعية السائدة في هذه المجتمعات. وهذا الرأي على الرغم من الإمكانية الواردة لعدم صحته، تجده يرتكز على مبررات ذات طابع تربوي محض، لدى القائمين على عملية التطوير التربوي والتعليمي، وهذا من منطلق الدعوة للفصل بين هذه العملية المجتمعية، وما يسود المجتمع من تفاعلات سياسية مختلفة. وهناك رأي يقول إن العملية التطويرية يفترض ألاّ تصاغ بمعزل عن الواقع السائد، كونها تتم داخل هذه البيئة ومن أجلها، حتى وإن كان هدفها إحداث تغييرات داخل هذه البيئة. وفلسطين اليوم، من المفترض أن تمر في عملية تطوير تربوي وتعليمي كامل على ضوء الواقع الجديد، الذي يستند في حده الأدنى إلى أن العملية التربوية والتعليمية برمتها تدار من قبل فلسطينيين، مما يلزمنا جميعا بصياغة تربوية فلسطينية كاملة.

قد تستند عملية التطوير اليوم، ومن قبل مختلف الجهات التي تعمل على ذلك (رسمية أو أهلية) على محاور مختلفة، منها وبشكل رئيسي المنهاج، والمعلم، والبيئة الصفية، ومستوى الأداء لدى التلاميذ. ويبقى التساؤل المشروع لذلك كله، هل يمكن تجاوز البيئة المجتمعية، والتي هي الإطار المحيط لكافة ما يتم من محاولات تطوير في المحاور سالفة الذكر وغيرها ؟ وهل يمكن العمل في هذا المجال بمعزل عن مجمل الواقع السائد من حيث فهمه، وإدراكه وتقييمه، وإن كان ذلك فما هي إمكانية النجاح في محاولات التطوير المقترحة؟.

ففي مجال المناهج نجد أنفسنا أمام حقائق عديدة ومختلفة، خاصة أنها المرة الأولى التي تتوفر لنا الفرصة لصياغة ذلك بشكل قد يكون مستقلا عن متغيرات خارجية، لكن ذلك ليس بالشكل الكامل كما يحدث أو حدث في مجتمعات أخرى. فبالقدر الذي نحن ملزمون به من تقييدات ناتجة عن البيئة المحيطة (سياسيا)، نلتزم بالبيئة المجتمعية بتفاعلاتها الأخرى المختلفة، فالإلزام لا يعني فقط العامل الموضوعي الخارجي بل أيضا الذاتي المتداخل. فكما تتعرض عملية الصياغة للبيئة السياسية عليها أن تأخذ بعين الاعتبار البيئة الجغرافية على سبيل المثال بقدر اكبر من السياسية، كون الأولى عاملا متغيراً بشكل أسرع من الثانية، وهي كذلك المفاهيم والقيم المجتمعية السائدة وغيرها. فعلى سبيل المثال سادت التعليم الفلسطيني في مراحل سابقة ما تسمى بعطلة المواسم في الريف الفلسطيني، وفقا لطبيعة المحاصيل المنتجة في مناطق فلسطين المختلفة. فكما تستحق المناسبات السياسية إخراج التلاميذ من صفوفهم الدراسية للترحيب بالضيوف، تستحق مصادر الاقتصاد الفلسطيني ما يساوي أهميتها من الحصة نفسها.

والبيئة المجتمعية السائدة جزء فاعل في العملية التربوية التعليمية، من حيث كونها البيئة التعليمية الرئيسية من جهة، وهدف العملية الرئيسي من جهة أخرى، فكيف لنا تجاوز بيئة محور العملية (التلاميذ) من أسرة أو حي أو قرية أو مدينة أو مخيم من جهة ، أو تكنولوجيا وتطور علمي من جهة أخرى. وحتى لا تصبح عملية التربية والتعليم حالة أخرى من حالات الاغتراب في المجتمع، لكنها قد تكون اخطر من غيرها كونها تباشر العلاقة مع الجيل الناشئ، عليها التزام الواقع السائد حتى وإن هدفت عملية التطوير إلى تغيير هذا الواقع.

وفي مجال المناهج والبيئة المجتمعية يمكن الإفادة من واقع الحال المرئي والمسموع والملموس فيه، والمعاش بشكله اليومي، والذي يمكن أن يشكل المساحة التطبيقية للفلسفة النظرية المراد تحقيقها ، إذا ما تم توفير هذه المساحة منهجياً لأداة العملية التربوية بما يضمن أولوية تحقيقها بأقل الإمكانيات. فيمكن استخدام الطبيعة الفلسطينية كمختبر حقيقي في العديد من الموضوعات في العلوم والجغرافيا والأدب والتراث، حتى في مجال التاريخ والتربية الوطنية والمدنية والدين، فالواقع الفلسطيني والمجتمع يوفر قاعدة واسعة لذلك، واغتراب المناهج عنه يؤدي إلى عدم تحقيق الفلسفة والأهداف له.

كما هي البيئة المحيطة والمناهج يتأتى دور المعلم في مجال بيئته، فإذا كان مجمل الهم لعملية التطوير التربوي والتعليمي في فلسطين، تحقيق قدر من إكساب المهارات والخبرات والمعرفة لهذا المعلم ضمن برمجة مقبولة نظرية مستقدمة، فإن عوائدها ستكون غير مجدية دون الأخذ بعين الاعتبار للمعلم ضمن بيئته المحيطة. فكما هو الحال من خطورة تواجه العملية التعليمية على مستوى المناهج، تواجه العملية نفسها خطورة في حال إغفال المعلم بمختلف بيئاته، فالمعلم كما هو القائد أسير واقعه بكل مدخلاته ومخرجاته، فأداؤه يرتبط بذلك كما يرتبط بالمساحة الممنوحة له في المناهج وفي بيئته المدرسية والمجتمعية. فكيف له تربية تلاميذه على قيم الصدق والإخلاص والتفاني، في ظل واقع سائد حتى في ظل بيئته التدريسية خلاف ذلك. وكيف ستدفع مكانته الاجتماعية المجتمعية ستدفع تلاميذه إلى اتخاذه مثالا لهم، طالما لا يقتصر دوره على عمله التربوي الذي سيتفرغ له، في حال عدم قدرته على توفير متطلبات حياته اليومية.

ومن المعروف أن المدرسة بعد الأسرة تلعب دورا رئيسيا في التنشئة

المجتمعية، فكيف هي بيئة المعلم الذي يقوم بعملية التنشئة، وكيف هي بيئته حين يقوم بذلك بشكل مزدوج (البيت والمدرسة) ، فالمعلم سابقا كان محور البنية المجتمعية في القرية الفلسطينية، من حيث المكانة والاحترام والقدوة، ففي واقع اليوم قد لا تجد تلميذا فلسطينيا يشير لك بأن معلمه قدوة له؟.

لقد شكلت العملية التربوية التعليمية في فلسطين على مدى السنوات السابقة جزءا من حالة المواجهة لواقع مفروض، فواكب العملية متغيرات عدة، فكما نجد أن الرؤية المجتمعية لتلك السنوات أدت إلى اتساع التعليم الفلسطيني أفقيا وعموديا ، كما هو الحال مع رؤية سكان الريف الفلسطيني لضرورة افتتاح مدارس للإناث في قراهم، رغبة منهم في عدم خسارتهم لذكور القرية المتعلمين لزواجهم من فتيات متعلمات من خارج القرى، مما احدث حالة من الاختلال في البناء المجتمعي للقرية، من حيث إمكانية مغادرة الشبان القرية، وعدم زواج الفتيات غير المتعلمات في القرية نفسها.

مما سبق يتضح أهمية تفاعل التعليم مع بيئته بكل محاورها المجتمعية، في مراحله السابقة والتي تمت الإشارة إلى مثال بسيط جدا منها ، لكن كان له دور فاعل في اتساع التعليم للإناث في الريف الفلسطيني في تلك المرحلة. فالرؤى التقليدية المجتمعية أصبحت تنادي بتعليم بنات الريف لغاية مجتمعية تقليدية لها دورا في مجتمع الريف، فكيف اليوم ونحن في مطلع القرن الحادي والعشرين، ويغفل البعض منا بيئتنا في مجمل عملية التطوير التربوي التعليمي. ويمكن اليوم الإشارة إلى خيار تعليمي فقد أهميته على مدار السنوات الأخيرة وهو التعليم المهني الحرفي والفني في سياق الاتساع، ذو الصبغة التنافسية الربحية في مجال التعليم الفلسطيني.

عماد غياظة

مكتبة المركز

مفتوحة للمعلمين والباحثين ٥ أيام في الأسبوع

مختصة بالتربية والعلوم الاجتماعية وتاريخ فلسطين

يؤسس المركز لمكتبة متخصصة في التربية والعلوم الاجتماعية، وتاريخ فلسطين حيث تحتوي على كتب ومراجع ودوريات باللغتين العربية والإنكليزية، كما تحتوي على كتب المنهاج المدرسي في الضفة الغربية، عدد من كتب المنهاج اللبناني، وعدد من كتب المنهاج الإسرائيلي الذي يدرس للعرب الفلسطينيين. والمكتبة مصنفة حسب تصنيف ديوي العشري.

نظام الإفادة من المكتبة:

- تفتح من الساعة ٨ – ٤ باستثناء يومي الأحد والجمعة
- تستقبل المكتبة بشكل خاص المعلمين والمعلمات والباحثين.
- يمكن استخدام الكتب والمراجع والدوريات داخل المكتبة، وتعار فقط لموظفي المركز وباحثيه.
- يوجد بها جهازا كمبيوتر متصلان بشبكة الإنترنت حيث يمكن للمعلمين والمعلمات والباحثين الإفادة من هذه الخدمة دون مقابل وحسب التالي:

١. الحجز المسبق.
٢. يحق للرواد من المعلمين والباحثين استخدام الإنترنت لمدة ساعة واحدة فقط في اليوم (يمكن تخصيص وقت أكثر من ذلك إذا لم يكن هناك ضغط على الاستعمال).
٣. يحق للرواد استخدام الطابعة واستخراج مواد من الإنترنت حتى ٢٠ صفحة.

لمزيد من الاستفسار والحجز الاتصال بأمين المكتبة على:
هاتف: ٢٩٦٣٢٨١ , ٢٩٦٣٢٨٢
فاكس: ٢٩٨٤٨٨٦
Email : azmi@qattanfoundation.org